PRINT ISSN: 2537-0685 ONLINE ISSN: 2536-9407 إبداعات تربوية

بحوث محكمة: ٣

الحوار في القرآن الكريم وأبعاده الحجاجية

د. عبد الواحد بن محمد العوكاز

حاصل على دكتوراه تخصص اللغة والأدب بميزة مشرف جدا

كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة القاضي عياض مراكش المغرب

- **المستخلص:**

تهدف حجاجية الخطاب القرآني إلى تغيير أوضاع قائمة "الجهل، الإنحراف العبودية، الظلم..."، إلى أوضاع دائمة ومستمرة "الإيمان، العدل، الحرية، العلم، وهذه الصبغة الحجاجية للخطاب القرآني تلتقي مع تعريف الحجاج عند " PERLMAN و TITIKA"، إذ هو عمل غرضه دائما أن يغير وضعا قائما.من أجل ذلك كانت حجج القرآن الكريم وأدلته وبراهينه التي حاج بها خصومه واضحة، يفهمها العامة والخاصة، لإبطال كل الشبهات الفاسدة، وتبخيسها بأسلوب معلوم واضح النتائج، سليم النظم والتركيب لا يحتاج إلى إعمال العقل أو كثرة البحث، فيذكر الحقائق ويقررها واضحة جلية يلمسها الإنسان وتنطق بها شواهد الكون. كما يقوم القرآن الكريم على الحوار ليؤسس لدين يقطع العهد مع العبودية والجهل، وتهميش العقل، وليفسح المجال أمام الحجة والبرهان والدليل، من أجل بناء نسق إقناعي، للوصل إلى الإيمان مع المحاوَر، كيف ما كان تفكيره أو معتقده، يقول الحق سبحانه. وكلها أساليب "الحكمة، الموعظة، الجدال"، تتضمن الإقناع عن طريق الحجة، لأن طبيعة الانسان التي فطره الله عليها هي الاختلاف والتعدد، فخلق الله تعالى للإنسان على أساس الاختلاف، يدعم فكرة ترسيخه للحوار بالحجة والبرهان، وترسيخه للعدال الإلهي من أجل تجاوز الاختلاف وتحقيق التفاهم.

الكلمات المفاتيح: الحجاج – الخطاب القرآني – الحوار – القصص القرآني – السمات الحجاجية – أساليب الحجاج .

ALHIOUAR FI ALKORAN ALKARIM WA ABAADOHO ALHIJAJIYA

ABDELOUAHED BEN MOHAMED ELAOKAZ

Abstract

The rhetorical style of the Quranic discourse aims to change the existing conditions of "ignorance, deviation, servitude, injustice..." to permanent and continuous conditions of "faith, justice, freedom, knowledge." This rhetorical style of the Quranic discourse intersects with the definition of rhetoric by "PERLMAN and TITIKA", as it is always aimed at changing the existing situation.Therefore, the arguments of the Quran, its evidence, and proofs with which it debated its adversaries were clear, understandable to both the general and specific audiences, in order to refute all corrupt suspicions and diminish them with a known and clear method that yields sound results, a system and structure that does not require excessive intellectual effort or extensive research. It mentions the truths and establishes them clearly and palpably, which humans perceive and the evidences of the universe proclaim.The Quran also relies on dialogue to establish a religion that breaks the covenant with servitude, ignorance, and marginalization of reason, and to open the way for argumentation, evidence, and proof, in order to build an persuasive framework for reaching faith with the interlocutor, regardless of their thoughts or beliefs.All these methods of "wisdom, admonition, argumentation" involve persuasion through argumentation because human nature, as ordained by God, is diversity and multiplicity. God created humans on the basis of diversity, supporting the idea of reinforcing dialogue with argumentation and evidence, and reinforcing divine justice to overcome differences and achieve understanding.

Keywords : Argumentation – The Qur'anic Discourse – Dialogue – Qur'anic Stories – Characteristics of Argumentation – Argumentation Methods

١- حجاجية الخطاب القرآني

أ- مفهوم الحجة في القرآن الكريم.

الحجة هي وجه الظفر عند الخصومة، أو هي الوجه الذي يكون به الظفر عند الخصومة(١)، أو هي ما دل على صحة الدعوة، والحجة والدليل واحد، وقال بعضهم: العقل حجة الله على جميع الخلق، لأنه سبب التكليف(٢).

أما طه عبد الرحمان فيجد أن الحجة عند البعض، مرادفة للدليل ولكن غلب عند البعض الآخر استعمالها بمعنى أخص، وهو يوردها على وجهين تخصص بهما الحجة من دون دليل:

❖ إفادة الرجوع أو القصد: ذلك أن الحجة مشتقة من "حج"، ومن معاني هذا الفعل معنى "رجع"، فتكون الحجة أمرا نرجع إليه أو نقصده – إلا لحاجتنا إلى العمل به– فالحجة بهذا المعنى، هي الدليل الذي يجب الرجوع، إليه للعمل به.

❖ إفادة الغلبة: ذلك أن فعل "حج"، يدل أيضا على معنى "غلب"، فيكون مدلوله هو إلزام الغير بالحجة فيصير بذلك مغلوبا، ويتبين لنا من هذين المعنيين للحجة، أنها بالذات الدليل الذي يقصد للعمل به، ولتحصيل الغلبة على الخصم، مع نصرة الحق أو نصرة الشبهة"(٣).

أما أبوبكر العزاوي، فيذهب إلى أن الحجة هي العنصر الدلالي المتضمن في القول، يقدمه المتكلم على أنه يخدم ويؤدي إلى عنصر دلالي أخر، والذي يصيرها حجة، أو يمنحها طبيعتها الحجاجية هو السياق(٤).

أما في السياق القرآني فقد جاء لفظ الحجة بمشتقاتها المختلفة لتدور حول معنيين:

أولهما: بمعنى المناظرة والمخاصمة، يقول تعالى: " أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ " (٥). وقوله تعالى: " قُلْ أَتُحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ " (٦). وقوله سبحانه:" فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ " (٧).

فالحجة في هذه الآيات بمعنى المناظرة والمخاصمة، والتي كانت تدور حول أهل الكفر على اختلاف مللهم، ذلك لأنهم أهل خصام وجحود، بخلاف أهل الإيمان فهم أهل الانقياد والطاعة لأمر الله تعالى.

---

(١)- كتاب العين، الفراهيدي مادة "حج"، ج٣، ص١٠. وانظر كذلك لسان العرب، ابن منظور، مادة "حج"، ج١، ص ٤٠٤.

(٢)- الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة، الأصبهاني، ٣٤٦/١.

(٣)- اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، طه عبد الرحمان، ص١٣٧.

(٤)- اللغة والحجاج، أبي بكر العزاوي، الدارالبيضاء، المغرب، ط١، ٢٠٠٦، ص١٢٧.

(٥)- سورة البقرة، الآية ٢٥٧.

(٦)- سورة البقرة، الآية ١٣٨.

(٧)- سورة ال عمران، الآية ٦١.

ثانيهما: وردت لفظة الحجة في القرآن الكريم بمعنى "البرهان" : وقد وردت تارة من المؤمنين مع الكفار كما في قوله تعالى: " لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ "(٨)، وتارة من الكفار بحسب اعتقادهم كما في قوله تعالى: " مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّا أَن قَالُوا ائْتُوا بِآبَائِنَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ " (٩)، وتارة من إبراهيم عليه السلام، في تمهيد قواعد الإيمان قوله تعالى: " وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ " (١٠).

إن مفهوم الحجة في كتاب الله تعالى لم تخرج عن المعنى اللغوي لها، وقد خص الله كتابه بالحجج التي تقطع كل شبهة تعترض سبيل الحق، وتلجم كل خصم.

- **الحجاج في الخطاب القرآني.**

إن عالمية القرآن الكريم، من حيث هو خطاب موجه للناس كافة في مختلف الأزمنة والأمكنة تقتضي التأثير والإقناع بالحجة والبرهان، ولكي تكتمل القوة الحجاجية للقرآن الكريم، لا يكفي أن يكون خطابا حجاجيا في ذاته، بل يجب أن يعترف به المخاطب في حجيته، من هذا المنطلق التحرري في التفكير الرامي إلى العدل، كرم الله تعالى الإنسان ووهبه العقل، وجعله سيد الكون، وجعل كل العوالم مسخرة لإسعاده قال تعالى: " وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا " (١١).

كما دعا الخطاب القرآني الإنسان إلى العلم واستعمال العقل، والنظر والتأمل في خلق الله وتوحيده دون إكراه، يقول تعالى: " إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ " (١٢).

إن إثبات الإيمان بالله ورسوله، وأحقيته بالعبادة دون غيره، والإيمان بالبعث والجزاء وغيرها من الثوابت المادية والمعنوية التي توجه فكر الإنسانية إلى العالمية، لن تأتي على سبيل الاجبار والقسر، ولكن مناط تأسيسها قائم على الاختيار، يقول سبحانه: " لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ۚ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۗ " (١٣).

تهدف حجاجية الخطاب القرآني إلى تغيير أوضاع قائمة "الجهل، الإنحراف العبودية، الظلم..."، إلى أوضاع دائمة ومستمرة "الإيمان، العدل، الحرية، العلم" قال سبحانه:

---

(٨)- سورة الشورى، الآية ١٤.

(٩)- سورة الجاثية، الآية ٢٤.

(١٠)- سورة الأنعام، الآية ٨٤.

(١١)- سورة الإسراء، الآية ٧٠.

(١٢)- سورة البقرة، الآية ١٦٣.

(١٣)- سورة البقرة، الآية ٢٥٥.

" الٓرۚ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ " (١٤)، وهذه الصبغة الحجاجية للخطاب القرآني تلتقي مع تعريف الحجاج عند "بيرلمان وتيتيكا"، إذ هو "عمل غرضه دائما أن يغير وضعا قائما"(١٥).

من أجل ذلك كانت حجج القرآن الكريم وأدلته وبراهينه التي حاج بها خصومه واضحة، يفهمها العامة والخاصة، لإبطال كل الشبهات الفاسدة، وتبخيسها بأسلوب معلوم واضح النتائج، سليم النظم والتركيب "لا يحتاج إلى إعمال العقل أو كثرة البحث، فيذكر الحقائق ويقررها واضحة جلية يلمسها الانسان وتنطق بها شواهد الكون"(١٦).

• حجاجية القصص القرآني

أ- الحوار في القصص القرآني.

وظف القصص القرآني الحوار بشكل لفت للانتباه إذا استعملناه في معناه الشامل، فهو يشمل الجدال، والمحاجة والمناظرة، وغيرها من المفاهيم في شقها الإيجابي، لأن الأصل في الحوار هو " المراجعة والتجاوب، بما يقتضي ذلك من رحابة الصدر، وسماحة النفس، ورجاحة العقل، وما يتطلبه من ثقة ويقين وثبات، وبما يرمز له من القدرة على التكليف والتجاوب والتفاعل والتعامل المتحضر الراقي مع الافكار والآراء جميعا"(١٧).

يقوم القصص القرآني على الحوار ليؤسس لدين يقطع العهد مع العبودية والجهل، وتهميش العقل، وليفسح المجال أمام الحجة والبرهان والدليل، من أجل بناء نسق إقناعي، للوصل إلى الإيمان مع المحاور، كيف ما كان تفكيره أو معتقده، يقول الحق سبحانه: " ادۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ " (١٨).

وكلها أساليب "الحكمة، الموعظة، الجدال"، تتضمن الإقناع عن طريق الحجة، لأن طبيعة الانسان التي فطره الله عليها هي الاختلاف والتعدد يقول تعالى: " وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَلَا يَزَالُونَ مُخۡتَلِفِينَ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمۡۗ وَتَمَّتۡ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ " (١٩).

فخلق الله تعالى للإنسان على أساس الاختلاف، يدعم فكرة ترسيخه للحوار بالحجة والبرهان، وترسيخه للعدال الإلهي من أجل تجاوز الاختلاف وتحقيق التفاهم.

يمتاز أسلوب الحوار في القرآن الكريم باتساع دائرته، ووضوح أهدافه وشموليته لما لا يحصى من المسائل، فهناك محاورات بين الله تعالى ومخلوقاته من الرسل الكرام، وملائكته والشيطان

---

(١٤)- سورة إبراهيم، الآية ١.

(١٥)- الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، عبد الله صولة، جامعة منوبة، منشورات كلية الآداب منوبة، ٢٠٠١، ص٤٧.

(١٦)- أصول الجدل وآداب المحاجة في القرآن الكريم، محمد علي نوح قوجيل، ط١، جمعية الدعوة الإسلامية، ١٩٩٧م، طرابلس، ليبيا، ص٦.

(١٧)- الحكمة والحوار، علاقة تبادلية، عباس محبوب، (د.ط)، عالم الكتب الحديث، اربد، الأردن، ٢٠٠٦م.

(١٨)- سورة النحل، الآية ١٢٥.

(١٩)- سورة هود، الآية ١١٨.

الرجيم، وهناك حوار يدور حول وحدانية الله تعالى، أو حول القرآن الكريم أو حول اليوم الآخر وهناك حوار بين الرسل وأقوامهم، أو بين الأخيار والأشرار وبين الأخيار فيما بينهم، وغيرها من أنواع الحوارات(٢٠)، التي استعملت ألفاظا تؤدي نفس المعنى، كالمناظرة، والمجادلة، للوصول إلى الإيمان والحقيقة.

إن أهمية الحوار وقيمته داخل القصص القرآني، مستمدة من هذه الاحتفالية الحوارية باعتبارها الوسيلة المثلى للإقناع، مع مراعات أنواع المقامات التخاطبية، وأصناف المخاطبين فمنهم الذي يسعى بطبيعته إلى التصديق بالبرهان، وإعمال القياس والعقل، ومنهم من ينغلق على عقيدته، ويتشبث بها، ولا يقبل بأي حجة أو برهان.

وقد اعتمد القصص القرآني في ذلك على أساليب حجاجية، لا تترك للمخالف مجالا للإنكار، فهو تارة يتوجه إلى العقل المستدل، وتارة إلى الوجدان السليم، وتارة إلى الفكر المنغلق والمعاند(٢١).

وبهذا يكون الحوار في القرآن الكريم، من أرقى وسائل التواصل لإقامة الحجة وإثبات وحدانية الله، وصدق الرسل، وتحقيق العدل.

ب- السمات الحجاجية في القصص القرآني.

الأسلوب القصصي أقرب الأساليب للفطرة الإنسانية، وأكثرها تأثيرا وإقناعا فتجد المتلقي لهذا النوع من الأسلوب يعيش القصة بكل جوارحه، وكأنه أحد المشاركين فيها، فيرى من خلالها كل ما يجري حوله من أحداث وحوار وحجاج.

كما يتميز الأسلوب القصصي في القرآن الكريم، بمجموعة من السمات، تجعله منفردا ومعجزا وإقناعيا في نفس الوقت، وأول هذه السمات اتصافه بالربانية أي أن مصدره الرب، ثانيا: شموليته المطلقة سواء على مستوى السرد، أم شموليته لجوانب العقيدة والعبادات والأخلاق والآداب، ثالثا: التكرار، أي تنوع ظهور مواطن الشخصيات وتكرر موقعها، ورابعا: الواقعية لأن القصة القرآنية تتعامل مع الوقائع الموضوعية ذات الوجود الحقيقي، وأخيرا: الإعجاز فالقصص القرآني معجز مثله مثل باقي الخطاب القرآني.

إن الحوار القصصي في القرآن الكريم يشتغل داخل هذه السمات مجتمعة، لتؤكد معه على بعده الحجاجي، أضف إلى ذلك أساليبه الحجاجية.

• أساليب الحجاج في حوارات القصص القرآني

وأساليب الحوار القرآني، هي كل الطرق التي سلكها لإقامة الحجة والبرهان على المحاورين وهذه الأساليب هي:

(٢٠)- أدب الحوار في الإسلام، محمد السيد طنطاوي، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٧م، ص٤.

(٢١)- ثقافة الحوار في الإسلام، عبد القادر الشخيلي، من التأسيس إلى التأصيل، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ط١، مطبعة النجاح، الدار البيضاء، ٢٠٠٧م، ص٧٣.

أ- الأسلوب العقلي المنطقي.

يقوم على المقدمات المنطقية، أو اظهار التناقض في موقف الخصم، أو محاورته حتى يظهر فساد منطقه، ومنها ما يقوم على المحاجة، ومقارعة الحجة بالحجة، ويشمل:

ب - المقدمات المسلمة:

أي الاعتماد على الأدلة هي في نظر الخصم، مسلمة لا يستطيع إنكارها(٢٢)، كقوله تعالى في قصة إبراهيم عليه السلام، مع من يدعي الربوبية، أو الاشتراك فيها بسبب ما آتاه الله من الملك: " إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّيَ ٱلَّذِي يُحْيِۦ وَيُمِيتُ " (٢٣)، وهو أمر لا يستطيع أحد غير الله أن يدعيه لنفسه، فغالط هذا الجبار الحاضرين، وكابر وادعاه لنفسه "قَالَ أَنَا۠ أُحْيِۦ وَأُمِيتُ " (٢٤) أي يعفو عمن حكم عليه بالموت ويقتل آخر، وهذا ليس إحياءً، ورده يفتح حوارا عقيما، فتركه إبراهيم عليه السلام، وألجأه إلى الإقرار إلجاءً يبهته وإن كابر: " قَالَ إِبْرَٰهِيمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ " (٢٥)، فكانت النتيجة أنه: " فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ " ٢٦، لأن الحجة ظاهرة لا مجال لأحد أن يكابر فيها مهما طغى وتجبر، ولكن هذا يظهر الحق لمن حوله، فلا يغترون بل يعرفون الحق، وإن عجزوا عن أن يظهروا ما في نفوسهم على ألسنتهم(٢٧).

ج - مجاراة الخصم للوقوف على غلطه:

وهي أن تسلِّم للخصم بعض مقدماته مع الإشارة إلى أنها لا تنتج ما يريده هو، بل هي مساعدة على إنتاج ما تريده أنت.

" كما جاء في قصة إبراهيم عليه السلام مع قومه حول قضية التوحيد، وما يقابلها من عبادة الأصنام مع الله تعالى حيث قال لهم: " قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ " (٢٨)، وهذا يعني أن من حق الصانع على من يصنعه أن يعبده، وهؤلاء يفعلون عكس ذلك: يعبدون ما يصنعون بأيديهم، ويتركون عبادة من خلقهم وخلق أصنامهم التي يعبدونها، وقد عطف سبحانه الأصنام على القوم في قوله: "وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ" لكي لا يتوهم أحد أن صنع القوم للأصنام لا يعني أنهم يستحقون من الأصنام أن تعبدهم – لو أمكنها ذلك– لأنها وإن كانت عمل أيديهم فهي خلق الله لا خلق أيديهم فالخالق سبحانه هو الله تعالى"(٢٩).

---

(٢٢)- حوار القرآن في المخالفين أصوله وأساليبه، محمود أحمد الزين، إخراج محي الدين حسن يوسف، ط ٢٠٠١م، دائرة الشؤون الإسلامية والعمل الخيري، دبي- الإمارات العربية المتحدة، ص ١٨.

(٢٣)- سورة البقرة، الآية ٢٥٧.

(٢٤)- سورة البقرة، الآية ٢٥٧.

(٢٥)- سورة البقرة، الآية ٢٥٧.

(٢٦)- سورة البقرة، الآية ٢٥٧.

(٢٧)- حوار القرآن مع المخالفين أصوله وأساليبه، محمد أحمد الدين، كبير باحثي دائرة الشؤون الاسلامية، ربي، ط١، ٢٠١١م، ص٢٠.

(٢٨)- سورة الصافات، الآيتين ٩٥-٩٦.

(٢٩)- حوار القرآن مع المخالفين أصوله وأساليبه، ص ٢١.

د - السبر والتقسيم:

يتخذه المحاور سبيلا لإبطال دعوى من يحاوره، ويكون بحصر أوصاف الموضوع، ثم يبين له أنه ليس في أحد هذه الأوصاف خاصية تسوغ قبول الدعوى فيه فتبطل دعوى الخصم عن طريق هذا الحصر المنطقي للموضوع.

وقد جاء هذا النوع من الأسلوب في قوله تعالى: في قصة عيسى عليه السلام: " وَقَالُواْ اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِّن دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ "(٣٠).

فهذه الآيات تنقض شبهات اعتمد عليها من اتخذ الأنبياء والصالحين آلهة من دون الله، زعموهم أبناء الله تعالى.

والشبهة في زعمهم أنهم أبناء الله: كرامتُهم على الله تعالى، فبيّن الله تعالى أنّ كرامتهم عليه لا تخرجهم من صفة العبد: "سبحانه بل عباد مكرمون" فهم رغم سمو المكانة عند الله تعالى "لا يسبقونه بالقول" أي لا يتكلمون في أي شأن دون أن يعلموا رضاه به، وهم رغم سمو المكانة عنده "وهم بأمره يعملون" وكل ذلك يعني أنهم في منطق العبودية لا يخرجون عنها، بل لو أن أحدهم قال أنه إله – كما يزعم المشركون– فهو معرض بذلك نفسه لعذاب جهنم، فهم خاضعون لله يفعل بهم ما يشاء، ويحاسبهم كما يحاسب سائر العباد"(٣١).

هـ - الأسلوب الوجداني العاطفي.

إن إثارة العقل وحده تبقى غير كافية لإقامة الحجة، ورد الفاسد من المعتقدات، فتجد القرآن الكريم يثير كوامن الوجدان في الناس البشرية ضاربا على " أوتار حساسة في هذه النفس يصعب ألا تمتز لها وتتأثر وتستجيب"، ويشمل هذا النوع من الأساليب ما يلي:

- **الرفق واللين.**

أسلوب يقوم على مخاطبة المحاورين برفق، انطلاقا من دعوة القلب والعاطفة، ومن لطائف هذا الأسلوب أن الحوار القرآني يخاطب برفقه أشد الناس عنادا، "فترى القرآن في حوار بني إسرائيل – وهم المعروفون بشدة العناد- يبدأ في سورة البقرة، ضمن حوار طويل بقوله سبحانه وتعالى: " يَابَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ" (٣٢)، يبدأ بتذكيرهم بنعمته، ويدعوهم إلى الوفاء بعهده، ويختم ذلك بالتحذير من عذابه - وليس بالتهديد-، كأنه يستثير ما تبقى في نفوسهم من دواعي الخير لعلهم يستجيبون"(٣٣).

---

(٣٠)- سورة الأنبياء، الآيات ٢٦-٢٩.

(٣١)- حوار القرآن مع المخالفين أصوله وأساليبه، محمود أحمد الزين، ص ٢٢-٢٣.

(٣٢)- سورة البقرة، الآية ٣٩.

(٣٣)- حوار القرآن الكريم مع المخالفين أصوله وأساليبه، محمود أحمد الزين، ص ٣٦.

- **الشدة وإغلاظ القول.**

ويستعمل عندما لا يستجيب - المحاور- للترفق والإحسان، ويأبى أن يلتفت إلى الحجة والبرهان، ويحتاج بعد ذلك إلى ما يكسر غروره.

فهذا سيدنا ابراهيم عليه السلام، يحاور مدعي الربوبية فيفاجئه هذا المدعي بالمغالطة والتزوير، فيجابهه إبراهيم عليه الصلاة والسلام، بما يبهته ويكشفه لمن حوله كما جاء في قوله تعالى: " أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ " (٣٤)، والملاحظ هنا أن التخجيل الذي جاء في الآية، إنما هو بطريقة إقامة الحجة التامة، والوضوح هو أن يكون معه زجر ووعيد.

"فإذا كان الخصوم المحاورون قد لجوا في التزوير، وقول الأباطل المكشوفة، ولم يراعوا حرمة الحوار جاء الخاطب القرآني لهم بأسلوب توبيخي دون مجاجة، إنما هو نقض لقولهم وشدة في ردعهم، كقوله تعالى: " وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ "(٣٥)، فليس هاهنا إلا نقض لقولهم بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء"(٣٦)، وكان في بدء الجواب الزجر، والتوبيخ بأشد الألفاظ "غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا".

- **المراوحة بين اللين والشدة.**

يعتمد هذا الأسلوب على عنصر التقابل بين الثواب والعقاب، باعتبارهما محفزين قويين للنفس البشرية "الترغيب والترهيب"، فهو من أكثر الأساليب في حوارات القرآن الكريم.

ومن أمثلة ذلك ما جاء في قصة موسى عليه السلام، في حوار الرجل المؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه، عندما قال فرعون " وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ " (٣٧)، فحاورهم بالحجة والبرهان، ليبين لهم خطأ ما يريد فرعون فعله، وذلك أن موسى يقول الحق، وقوله مقرون بالبينات من ربه يقول تعالى: وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ (٣٨).

---

(٣٤)- سورة البقرة، الآية ٢٥٧.

(٣٥)- سورة المائدة، الآية ٦٦.

(٣٦)- حوار القرآن مع المخالفين أصوله وأساليبه، ص٤١-٤٢.

(٣٧)- سورة غافر، الآية ٢٦.

(٣٨)- سورة غافر، الآية ٢٨.

ثم جاء بأسلوب الترغيب والترهيب - فقال لهم- في قول تعالى: " وَقَالَ الَّذِيٓ ءَامَنَ يَٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُونِ أَهۡدِكُمۡ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ يَٰقَوۡمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا مَتَٰعٞ وَإِنَّ ٱلۡأٓخِرَةَ هِيَ دَارُ ٱلۡقَرَارِ مَنۡ عَمِلَ سَيِّئَةٗ فَلَا يُجۡزَىٰٓ إِلَّا مِثۡلَهَا وَمَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ يُرۡزَقُونَ فِيهَا بِغَيۡرِ حِسَابٖ ۞ وَيَٰقَوۡمِ مَا لِيٓ أَدۡعُوكُمۡ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدۡعُونَنِيٓ إِلَى ٱلنَّارِ تَدۡعُونَنِي لِأَكۡفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشۡرِكَ بِهِۦ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٞ وَأَنَا۠ أَدۡعُوكُمۡ إِلَى ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡغَفَّٰرِ لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِ لَيۡسَ لَهُۥ دَعۡوَةٞ فِي ٱلدُّنۡيَا وَلَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ هُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ" (٣٩).

٥- الأسلوب الوصفي التصوري.

التصوير "هو الأداة المفضلة في أسلوب القرآن، وذلك لكونه يعبر بالصور المحسوسة التخيلية عن المعنى الذهني والحالة النفسية، مؤكدا على أهمية الحوار في التصوير، باعتباره اللبنة المتممة لبناء الصورة، فإذا أضاف إليها "أي الصورة" الحوار فقد استوت لها كل عناصر التخييل(٤٠).

- **الوصف الحسي.**

ويكون متراوحا بين إخراج المعاني الذهنية في صور حسية، وتصوير الحالات النفسية والمعنوية، ومشاهدة الحوادث الواقعة، والقصص المروية.

ومن أمثلة القصص في هذا الوصف ما جاء في قصة أصحاب الجنة يقول تعالى:" إِنَّا بَلَوۡنَٰهُمۡ كَمَا بَلَوۡنَآ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ إِذۡ أَقۡسَمُواْ لَيَصۡرِمُنَّهَا مُصۡبِحِينَ" (٤١)، لقد قر رأيهم على أن يقطعوا ثمرها عند الصباح الباكر، دون أن يستثنوا منه شيئا للمساكين، فلندعهم على قرارهم، ولننظر ماذا يقع الآن في بهمة الليل حيث يختفون هم، ويخلو منهم المسرح، فماذا يرى النظارة؟ هناك مفاجأة تتم خلسة، وحركة خفية كحركة الأشباح في الظلام، " فَطَافَ عَلَيۡهَا طَآئِفٞ مِّن رَّبِّكَ وَهُمۡ نَآئِمُونَ فَأَصۡبَحَتۡ كَٱلصَّرِيمِ" (٤٢)... وهم لا يشعرون.

والآن ها هم أولاء يتصايحون مبكرين، وهم لا يدرون ماذا أصاب جنتهم في الظلام " أَنِ ٱغۡدُواْ عَلَىٰ حَرۡثِكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰرِمِينَ فَٱنطَلَقُواْ وَهُمۡ يَتَخَٰفَتُونَ أَن لَّا يَدۡخُلَنَّهَا ٱلۡيَوۡمَ عَلَيۡكُم مِّسۡكِينٞ " (٤٣)، ليمسك النظارة ألسنتهم فلا ينبهوا أصحاب الجنة الى ما أصاب جنتهم وليكتموا ضحكات السخرية التي تكاد تنبعث منهم، وهم يشاهدون أصحاب الجنة المخدوعين، يتنادون متخافتين، خشية أن يدخلها عليهم مسكين، ليكتموا ضحكات السخرية، بل ليطلقوها فها هي ذي السخرية العظمى، "وَغَدَوۡاْ عَلَىٰ حَرۡدٖ قَٰدِرِينَ" (٤٤). أجل، إنهم لقادرون الآن على المنع والحرمان، حرمان أنفسهم على الأقل.

---

(٣٩)- سورة غافر، من الآية ٣٨ إلى ٤٣.

(٤٠)- التصوير الفني في القرآن، السيد قطب، ص ٣٦.

(٤١)- سورة القلم، الآية ١٧.

(٤٢)- سورة القلم، الآية ٢٠.

(٤٣)- سورة القلم، من الآية ٢١ إلى ٢٤.

(٤٤)- سورة القلم، الآية ٢٥.

- **التخييل الحسي.**

وهي الحركة التي يسير عليها التصوير في القرآن، ليبث الحياة في شتى الصور، من خلال بث الحياة، وهي حركة لا تقتصر على مشاهدة القصص، والحوادث، بل تتعداها إلى موضوعات أخرى من مشاهد القيامة، وصور النعيم والعذاب وغيرها، مثاله قوله تعالى: " وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَي الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَاحَ وَفِي نُسخَتِهَا هُدي وَرَحمَة لِّلذِينَ هُم لِرَبِّهِم يَرهَبُونَ" (٤٥)، وقوله أيضا: " فَلَمَّا ذَهَبَ عَن إِبرَاهِيمَ الرَّوعُ وَجَاءَتهُ الْبُشري يُجَادِلنَا فِي قَومِ لُوطٍ "٤٦)، "وهذا هو الغضب، أو هذا هو الروع، أو هذه هي البشرى، تهيج وتسكن، وتوحي وتسكت، وتجيء وتذهب"(٤٧).

ومنه أيضا قوله تعالى: في قصة زكرياء: " قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشتَعَلَ الرَّأْسُ شَيبا وَلَم أَكُن بِدُعَائِك رَبِّ شَقِيّا" (٤٨)، يتمثل التخيل في الحركة الممنوحة لما من شأنه السكون كقوله: "اشتعل الرأس شيبا"، فحركة الاشتعال هنا، تخيل للشيب في الرأس حركة كحركة اشتعال النار في الهشيم، فيها حياة وجمال"(٤٩).

- **التجسيم.**

والمراد به تجسيم الصور المعنوية في الأصل في صور حسية حية، ويعتبر التجسيم الأسلوب المفضل في تصوير القرآن إذ يعتمد تجسيم المعنويات المجردة، وإبرازها أجساما أو محسوسات"(٥٠)، وهذا النوع من الأسلوب يتداخل مع التخييل، مثال ذلك قوله تعالى: " وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغلُولَة غُلَّت اَيدِيهِم وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَل يَدَاهُ مَبسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرا مِّنهُم مَّا أُنزِلَ إِلَيك مِن رَّبِّك طُغيَانا وَكُفرا وَأَلقَينَا بَينَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغضَاءَ الَي يَومِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوقَدُوا نَارا لِّلحَربِ أَطفَأَهَا اللَّهُ وَيَسعَونَ فِي الْارضِ فَسَادا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفسِدِينَ" (٥١).

وقوله تعالى: " إِذ قَالَ اللَّهُ يَاعِيسي إِنِّي مُتَوَفِّيك وَرَافِعُك إِلَيَّ وَمُطَهِّرُك مِنَ الَذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الذِينَ اتَّبَعُوك فَوقَ الذِينَ كَفَرُوا إِلَي يَومِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرجِعُكُم فَأَحكُمُ بَينَكُم فِيمَا كُنتُم فِيهِ تَختَلِفُونَ" (٥٢).

وهذه الطريقة في القرآن أساسية في التصوير، إذ يجتمع التخييل الحسي والتجسيم؛ لأنه يرمي إلى توضيح المعاني المجردة وتثبيتها.

---

(٤٥)- سورة الأعراف، الآية ١٥٤.

(٤٦)- سورة هود، الآية ٧٣.

(٤٧)- التصوير الفني في القرآن، السيد قطب، ص ٧٥.

(٤٨)- سورة مريم، الآية ٣.

(٤٩)- التصوير الفني في القرآن، السيد قطب، ص ٧٨.

(٥٠)- م. نفسه، ص 72.

(٥١)- سورة المائدة، الآية ٦٦.

(٥٢)- سورة آل عمران، الآية ٥٤.

- **لائحة المصادر والمراجع:**

- القرآن الكريم برواية ورش عن نافع
- أدب الحوار في الإسلام، محمد السيد طنطاوي، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٧م، ص٤.
- أصول الجدل وآداب المحاجة في القرآن الكريم، محمد علي نوح قوجيل، ط١، جمعية الدعوة الإسلامية، ١٩٩٧م، طرابلس، ليبيا،
- التصوير الفني في القرآن الكريم، السيد قطب، دار الشروق، القاهرة، مصر، ط ١٧، ٢٠٠٤م.
- الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، عبد الله صولة، جامعة منوبة، منشورات كلية الآداب منوبة، ٢٠٠١، ص٤٧.
- الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة، إسماعيل بن محمد بن الفضل بن علي القرشي الطليحي التيمي الأصبهاني، أبو القاسم، الملقب بقوام السنة، (ت٥٣٥هـ)، تح: محمد بن ربيع بن هادي عمير المدخلي، دار الراية، الرياض السعودية، ط ٢، ١٤١٩هـ ١٩٩٩ م.
- الحكمة والحوار، علاقة تبادلية، عباس محبوب، (د.ط)، عالم الكتب الحديث، اربد، الأردن، ٢٠٠٦م.
- اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، طه عبد الرحمان، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط ١، ١٩٩٨ م.
- اللغة والحجاج، أبي بكر العزاوي، الدارالبيضاء، المغرب، ط١، ٢٠٠٦، ص١٢٧.
- ثقافة الحوار في الإسلام، عبد القادر الشخيلي، من التأسيس إلى التأصيل، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ط١، مطبعة النجاح، الدارالبيضاء، ٢٠٠٧م، ص٧٣.
- حوار القرآن في المخالفين أصوله وأساليبه، محمود أحمد الزين، إخراج محي الدين حسن يوسف، ط ٢٠٠١م، دائرة الشؤون الإسلامية والعمل الخيري، دبي- الإمارات العربية المتحدة، ص ١٨.
- كتاب العين، الفراهيدي مادة "حج"، ج٣، ص١٠. وانظر كذلك لسان العرب، ابن منظور، مادة "حج"، ج١.

❋ ❋ ❋ ❋ ❋